رسالة في التوبة

الفقير لله أبو إسلام التونسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

هذه رسالة مختصرة في التوبة

جعلنا الله وإياكم من التائبين

تعريف التوبة

التوبة هي الاعتراف بالذنب

و الرجوع عن معصية الله تعالى إلى طاعته

قال تعالى : يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا

وقال تعالى : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

وقال تعالى : يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

قال البغوي رحمه الله

وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهَا

قَالَ عُمَرُ وَأُبَيٌّ وَمُعَاذٌ: "التَّوْبَةُ النَّصُوحُ" أَنْ يَتُوبَ ثُمَّ لَا يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ كَمَا لَا يَعُودُ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ

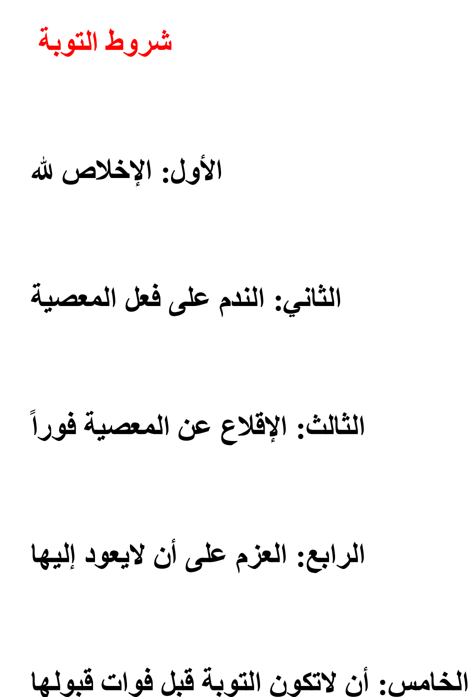
قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ نَادِمًا عَلَى مَا مَضَى؛ مُجْمِعًا عَلَى أَلَّا يَعُودَ فِيهِ

قَالَ الْكَلْبِيُّ: أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَيَنْدَمَ بِالْقَلْبِ، وَيُمْسِكَ بِالْبَدَنِ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: تَوْبَةً تَنْصَحُونَ بِهَا أَنْفُسَكُمْ

قَالَ الْقُرَظِيُّ: يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعَوْدِ بِالْجَنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ سَيِّئِ الْإِخْوَانِ

انتهى قوله



شروط التوبة

الأول: الإخلاص لله

الثاني: الندم على فعل المعصية

الثالث: الإقلاع عن المعصية فوراً

الرابع: العزم على أن لايعود إليها

الخامس: أن لاتكون التوبة قبل فوات قبولها

من التوبة

الاستغفار : و هو طلب المغفرة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (رواه البخاري ومسلم)

الإنابة : الرجوع إلى الحق بعد التوبة

قال تعالى : وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ

الأوبة : وهي الرجوع إلى الله بترك المعاصي والننكرات

قال تعالى : نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ

وفي الحديث : آيبون تائبون لربنا حامدون

البعض من أخبار التائبين

توبة آدم عليه السلام

قال تعالى: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

وقال تعالى : قَالَا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ

عن السُّدِّيُّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ، قَالَ: قَالَ آدَم: يَا رَبِّ أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَى، وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ؟ قِيلَ لَهُ بَلَى، وَعَطَسْتُ فَقُلْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَسَبَقَتْ رَحْمَتُكَ غَضَبَكَ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَى، وَكَتَبْتَ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَ هَذَا؟ قِيلَ لَهُ: بلى، قال: أرأيت إنْ تُبْتُ هَلْ أَنْتَ رَاجِعِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ

رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ سعيد بن جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

توبة نوح عليه السلام

روى عبد الرزاق رحمه الله تعالى عن وهيب بن الورد لما عاتب الله تعالى نوحا في ابنه فأنزل عليه {إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}قال: فبكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه مثل الجداول من البكاء

توبة موسى عليه السلام

قال تعالى

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

قال الحسن: بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فقلب الحجر عن موسى وأقامه فقام موسى عليه السلام فقال: {سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ} مما سألت {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }أي أنا أول من آمن أنه لا ينظر إليك أحد إلا مات وقيل: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد في الدنيا

قال تعال : قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

قال قتادة : عرف والله المخرج فاستغفر

توبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى عن أنس قال : جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عبس وتولى أن جاءه الأعمى فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم قال : ما رئي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية متصديا لغني ولا معرضا عن فقير

توبة كعب بن مالك

ندم كعب بن مالك رضي الله عنه وتاب لما تخلف عن غزوة تبوك

حتى قال : فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت

توبة أبو لبابة الأنصاري

أبو لبابة رضي الله عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة حينما خرج في غزوة بدر الكبرى وقد قسم له النبي صلى الله عليه وسلممن الغنيمة

ولما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة بعثوا إليه أن أرسِل إلينا أبا لُبَابة نستشيره وكان حليفًا لهم وكانت أمواله وولده في منطقتهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه، فَرَقَّ لهم وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال : نعم وأشار بيده إلى حلقه يقول: إنه الذبح (أي ستذبحون) ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماي ترجفان حين عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبدًا ولا يراني في بلد خنت الله ورسوله فيه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال: أَمَا لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ فَأَمَّا إِذْ فَعَلَ الَّذِي فَعَلَ مَا أَنَا بِالَّذِي يُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ

قال يزيد بن عبد الله بن قسيط: أَنَّ تَوْبَةَ أَبِي لُبَابَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّحَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ؟ أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ. فَقَالَ: «تِيبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ». فَقُلْتُ: أَلَا أُبَشِّرُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بِذَاكَ؟ فَقَالَ: «بَلَى إِنْ شِئْتِ» فَقُمْتُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَقُلْتُ (وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ): يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَبْشِرْ فَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَيْكَ. فَثَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ، فَقَالَ: لَا وَاللهِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ. فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ خَارِجًا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ أَطْلَقَهُ

توبة حسان بن ثابت رضي الله عنه

حسان بن ثابت رضي الله عنه كان ممن شارك في الإفك
ثم تاب لله تعالى

وقد اعتذر حسان رضي الله عنه عما كان منه وقال يمدح عائشة بما هي أهل له:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا ومنصبا نبي الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إلي أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائط بها الدهر بل قول امرىء بي ماحل

فكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل نبي الله زين المحافل

له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاول

توبة الفضيل بن عياض

فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية

أن الفضيل كان لصا يقطع الطريق وكان يعشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها في ليلة من الليالي سمع صوت قارئ يقرأ القرآن ويتلو: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

فلما سمعها قال: بلى قد آن فتاب إلى الله تعالى ثم أصبح عابد الحرمين

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده التائبين

وفي الختام كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين